﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر: 24]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من بيانِ التّكليف بالنّذارةِ إلى أنّها سنّة ماضيةٌ في جميعِ الأمم

لمّا بينتِ الآيات السّابقةُ حالَ النّاس ما بين مهتدٍ وضال، وختمت بأنَّ الهداية بيد الله تعالى وحدَه، وأنَّ النّبيّ ﷺ ما هو إلّا نذير، فليس له من الأمرِ شيءٌ في هدايةِ البشر، ناسبَ الانتقالُ إلى بيانِ أنَّ وظيفةَ النّذارةِ هي بتكليف الله تعالى[1]، وليس له إلّا أن يُنذر النّاس بما يُنذرهم به، وأنَّ هذه سنّةُ اللهِ تعالى في جميع الأمم السّابقة، فأفادت المناسبةُ دفعَ توهُّم أنَّ النّبيَّ ﷺ هو مجرّد نذير، بل هو بشير ونذير[2]، وكلُّ ذلك تكليفٌ إلهيٌّ، وتشريفٌ ربّاني.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: (حقّ) أصلٌ يدلُّ على إحكام الشَّيءِ وصحَّتِه[3]، وتمكُّنِه في مَقَرِّه[4]، ومِنْ ذلكَ قولُهم: ثوبٌ مُحقَّقٌ، إذا كانَ مُحكَمَ النَّسْجِ[5]، وحَقَقْتُ العُقْدةَ، أي: أحكمتُ شَدَّها[6]، والحقُّ: نقيضُ الباطلِ، أي: الشَّيءُ الثّابتُ الرّاسخُ المُتمكِّنُ[7]، وهو المرادُ هنا[8].

2) ﴿بَشِيرٗا﴾: (بشر) أصلٌ يدلُّ على ظهورِ الشَّيءِ مع حُسْنٍ وجمالٍ[9]، ومِنْ ذلكَ: البَشَرةُ، وهي ظاهرُ الجِلْدِ، والبِشارةُ مأخوذةٌ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 234.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 40، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 296.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حقق).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حقق).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (حقق).
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (حقق).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حقق).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 296.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بشر).

مِنْ ذلكَ؛ لأنَّها الإخبارُ بخبرٍ سارٍّ يبسطُ بَشَرةَ الوجهِ، وذلكَ أنَّ النَّفْسَ إذا سُرَّتْ انتشرَ الدَّمُ فيها انتشارَ الماءِ في الشَّجَرِ[1]، والمرادُ بالبشيرِ هنا: المُخبِرُ بالبُشْرَى، والنَّبيُّ ﷺ مُخبِرٌ بما فيهِ سعادةُ الدُّنيا والآخرةِ.

3) ﴿خَلَا﴾: (خلو) أصلٌ يدلُّ على تعرّي الشَّيءِ مِنَ الشَّيءِ[2]، ومِنْ ذلكَ: الخَلاءُ، وهو المكانُ الَّذي لا ساترَ فيهِ مِنْ بناءٍ ونحوِهِ، والخُلُوُّ يُستعمَلُ في الزَّمانِ والمكانِ، ومعنى قولِهم: خلا الزَّمانُ: مضَى وذهبَ[3]، ومعنى ﴿خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾: مضَى وأُرسِلَ[4].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إرسـالُ الـرُّسُـلِ ما بين التّبشيرِ والإنذارِ

تُبيِّن الآية الكريمةُ أنَّ إرسالَ اللّه تعالى لنبيِّه ﷺ، ما كان إلّا بالحقِّ، وهو الإيمانُ والهُدى، مُبشِّرًا بالجنَّةِ مَنْ صدَّقَكَ، وآمنَ بما جئتَ بهِ، ومُنذِرًا مَنْ كذَّبَكَ، وكفرَ بما جئتَ بهِ، وما مِنْ أمَّةٍ مِنَ الأُمم السّابقةِ إلّا مضَى فيها نذيرٌ يُنذِرُهم بأسَنا، فأنت لستَ بِدَعًا من الرُّسلِ، ما أنتَ إلّا أحدَ أولئك الذين أنذروا أقوامَهم؛ استجابةً لأمرِ ربِّك ومولاك.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### نُكْتَةُ فصلِ الآيةِ:

الإرسـالُ بالحقِّ تشريفٌ لسيّد الخَلْق

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافُ كلامٍ جديدٍ، فيهِ ثناءٌ على النَّبيِّ ﷺ، وتنويهٌ بهِ وبالإسلامِ، ودفعُ توهُّمِ أنْ يكونَ قَصْرُهُ على النِّذارةِ في الآيةِ السّابقةِ قصرًا حقيقيًّا[5]، وليكون الاستئنافُ مبيِّنًا شأنًا عظيمًا من شؤونه ﷺ، وهو أنَّه أُرسل بالحقِّ جامعًا بين التّبشيرِ والنّذارة.

(1) الرّاغب، المفردات: (بشر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلو).
(3) الرّاغب، المفردات: (خلو).
(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (خلو).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 296.

### غرضُ الجملةِ الخبريَّة:

الإعلامُ بالمعلومِ تنبيهٌ وامتنانٌ وتشريفٌ

قولُهُ جلَّ شأنُهُ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ﴾ خبرٌ لا يُرادُ بهِ مُجرَّدُ الإخبارِ؛ لأنَّهُ ﷺ يعلمُ أنَّهُ مُرسَلٌ مِنَ اللهِ تعالى، ولكنَّ المرادَ بهِ تأنيسُهُ ﷺ بإجراءِ هذهِ الصِّفاتِ الجليلةِ عليهِ، والامتنانُ عليهِ بها، والتَّمهيدُ لتسليتِهِ عن تكذيبِ المشركينَ لهُ، وتأنيسُ المؤمنينَ والامتنانُ عليهِم أيضًا؛ إذ أُرسِلَ إليهِم رسولٌ موصوفٌ بهذهِ الصِّفاتِ الَّتي لهُم فيها خيرٌ عظيمٌ.

### نُكْتَةُ التَّوكيدِ في ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾:

وجوبُ تعظيمِ النَّبيِّ المُرسَلِ بما اتَّصفَ بهِ من الخيرِ المُرسَل

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ بـ (إنَّ)، وبناءِ المسندِ الفعليِّ ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ على المسندِ إليهِ، وهو (نا) في ﴿إِنَّآ﴾، بحيثُ يفيدُ الكلامُ نسبةَ الإرسالِ إلى اللهِ تعالى مرَّتين، كأنَّهُ قيلَ: إنّا أرسَلْناكَ، إنّا أرسَلْناكَ، والغرضُ مِنَ التَّوكيدِ إظهارُ الاعتناءِ بكونِهِ ﷺ مُرسَلًا متَّصفًا بهذهِ الأوصافِ الجليلةِ، وبيانُ أنَّ رسالتَهُ عظيمةُ الشَّأنِ، وهي مِنَ اللهِ تعالى بمكانٍ، وفي ذلكَ حثٌّ للمؤمنينَ بل للنّاسِ جميعًا على التَّيقُّظِ لمضمونِ الكلامِ والتَّصديقِ بهِ؛ ليَقْدِروا النَّبيَّ ﷺ حقَّ قَدْرِهِ، ويَعْلَموا أنَّهُ نِعْمةٌ عُظمى، ورحمةٌ مُهْداةٌ.

### نُكْتَةُ مجيءِ المسندِ إليه ضميرًا:

الخطابُ المباشرُ تقريبٌ ورفعةُ حبيبٍ

جيءَ بالمسندِ إليهِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ ضميرًا، ولم يُقَلْ: (إنَّ اللهَ أرسلكَ)؛ تشريفًا للنَّبيِّ ﷺ بعِزِّ الحضورِ لمقامِ التَّكلُّمِ معَ المُرسِلِ ﷻ، كأنَّ اللهَ يُشافِهُهُ بهذا الكلامِ بدونِ واسطةٍ[1]، أي: أنّ اللهَ ﷻ كرَّمه صلواتُ ربّي وسلامه عليه بأن جعل الخطابَ له صادرًا عن المتكلّمِ سبحانه بضمير العظَمة والكبرياء، لا بالاسم الجليل؛ ليكون الكلامُ بأسلوبِ الخطابِ المباشرِ، لا بأسلوبِ الإخبارِ المجرّد.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 691.

### بلاغةُ التَّعبيرِ بنونِ العظَمةِ:

مَـن تعلّق بالعظيمِ نالَ شرفَ المكانةِ والمهابة

عُبِّرَ بضميرِ العظَمةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾، ولم يُقَلْ: (إنّي أرسلتُكَ)؛ لتعظيمِ شأنِ الإرسالِ، بأنَّهُ إرسالُ ذي العظَمةِ والجلالِ ﷻ، والمعنى: إنّا أرسلناكَ بما لَنا مِنَ العظَمةِ[1]، وفيهِ أيضًا: تعظيمٌ للمُرسَلِ بأنَّهُ رسولُ العظيمِ سبحانَهُ، ورسولُ العظيمِ عظيمٌ، ويلزمُ مِنْ ذلكَ تعظيمُ المُرسَلِ إليهم، حيثُ أُرسِلَ إليهم هذا النَّبيُّ الباهرُ الشَّأنِ، فينبغي عليهم القيامُ بحقِّ هذهِ الرِّسالةِ؛ لينالوا شرفَ هذا التَّعظيمِ.

### نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالماضي:

تحقُّقُ الإرسالِ وعدٌ بالنَّصرِ المبينِ، وثباتِ المؤمنين

جاء فعلُ الإرسالِ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾؛ للدّلالةِ على أنَّ إرسالَ النَّبيِّ ﷺ أمرٌ قد تحقَّقَ وثبتَ وتأكَّد، فلا ينبغي أنْ يُشَكَّ فيه ويُرتابَ، وفي ذلكَ زيادةُ تأنيسٍ وتثبيتٍ للنَّبيِّ ﷺ، وقطعٌ لأعذارِ الجاحدينَ المُنكرينَ الَّذينَ جَحَدوا بالرِّسالةِ، واستيقنَتْها أنفسُهم ظُلمًا وعُلوًّا، وفيه إيماءٌ إلى أنَّه بتحقُّقِ الإرسالِ سيتحقّق ما بعدَه من النَّصرِ المبينِ، وثَباتِ المؤمنين.

### عِلَّةُ حذفِ مُتعلَّقِ فعلِ الإرسالِ:

النَّبيُّ مُرسَلٌ للنّاسِ جميعًا

حُذِفَ مُتعلَّقُ فعلِ الإرسالِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ إيجازًا، وتقديرُهُ: إنّا أرسلناكَ للنّاسِ؛ وذلك لظهورِهِ، وكونِهِ معلومًا مِنْ آياتٍ أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ﴾ [النّساء: 79]، وفي هذا الحذفِ مناسبةٌ لمقامِ عمومِ الرِّسالةِ، فكلُّ مَنْ يسمعُ هذا الخطابَ يعلمُ أنَّهُ مِنَ المُرسَلِ إليهم، وإنْ لم يُنَصَّ في الآيةِ على ذلكَ.

### نوعُ الباءِ ودلالتُها في ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾:

الرّسالةُ والحقُّ قرينا الصّدقِ

الباءُ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ للملابسةِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 41.

والمصاحبةِ[1]، والجارُّ والمجرورُ حالٌ مِنَ الفاعلِ، أي: أرسلناكَ مُحِقّينَ، أو مِنَ المفعولِ، أي: مُحِقًّا، أو نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، أي: إرسالًا مُلتبِسًا بالحقِّ، أو مُتعلِّقانِ بـ ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[2]، وأيًّا ما كانَ ففي التَّعبيرِ بالباءِ دلالةٌ على أنَّ الحقَّ قرينٌ ومصاحبٌ لكلِّ مَنْ تلبَّسَ بالرِّسالةِ؛ فالرِّسالةُ حقٌّ، وكلٌّ مِنَ المُرسِلِ والرَّسولِ مُحِقٌّ.

### معنى تعريفِ لفظِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾:

الحـقُّ الكـاملُ قرينُ الرِّسالةِ

لفظُ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ للجنسِ، فيُفيدُ الكلامُ تلبُّسَ الرِّسالةِ بالحقِّ الكاملِ في الثَّباتِ الَّذي يطابقُهُ الواقعُ[3]، وأعظِمْ برسالةٍ كانَ الحقُّ ملابسَها، ويالَخسارةِ مَنْ أعرضَ عنها، وحادَ عن صراطِها.

### غرضُ تقديمِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾:

الـحـقُّ أصـلُ البِشارةِ والنِّذارةِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ على ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ في قوله تعالى شأنُهُ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، إمّا للاهتمامِ بكونِ الحقِّ ملابسًا للرِّسالةِ، فهو توطِئةٌ لذكرِ وظيفةِ الرَّسولِ وهي البِشارةُ والنِّذارةُ، وإمّا للقَصْرِ، وذلك على القولِ بتعلُّقِ الجارِّ والمجرورِ بقوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، أي: أرسلناكَ بشيرًا ونذيرًا بالحقِّ لا بغيرِهِ[4].

### نُكْتَةُ تنكيرِ لفظِ ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾:

البشارةُ والنّذارةُ وصـفٌ عـريـقٌ معذوقٌ بالنّبيّين السّابقين

نُكِّر لفظا ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ للتَّفخيمِ، فكلُّ وصفٍ مِنْ هذهِ الأوصافِ عظيمٌ في ذاتِهِ، ويزيدُهُ التَّنكيرُ فخامةً وتعظيمًا، وعلى هذهِ الأوصافِ الشَّريفةِ مدارُ رسالتِهِ ﷺ، وللإفرادِ، فيفيدُ أنَّهُ ﷺ ليسَ بِدْعًا مِنَ الرُّسلِ، بل هو مِنْ جملةِ المُبشِّرينَ والمُنذرينَ.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 51.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 226.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 41.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 51.

### غرضُ التَّعبيرِ بصيغةِ (فعيلٍ):

جيءَ بصيغةِ (فعيلٍ) في قوله ﷻ: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾؛ للمبالغةِ في اتِّصافِهِ ﷺ بالبشارةِ والنِّذارةِ، وفي ذلكَ مزيدُ تفخيمٍ وتعظيمٍ لشأنِهِ وشأنِ رسالتِهِ، وإشارةٌ إلى أنَّهُ يُؤدّي ما وجبَ عليهِ مِنَ التَّبشيرِ والإنذارِ على أكملِ وجهٍ وأتمِّهِ.

تبليغُ النَّبيِّ ما أُمِرَ بِهِ على أكملِ وجهٍ

### نُكْتَةُ حذفِ مُتعلَّقِ البِشارةِ:

يتعلّق قولُهُ تعالى: ﴿بَشِيرًا﴾ بمحذوفٍ تقديره: بشيرًا للمؤمنينَ، وقد حُذِفَ مُتعلَّقُ البشارةِ إيجازًا؛ لظهورِهِ، والإيذانِ بأنَّ البشارةَ لها من يستحقُّها من المؤمنين، ولذلكَ ينصرفُ الذِّهنُ إليهم عندَ الحذفِ.

حُـذِفَ المُتعلّقُ إيجازًا لظهورِهِ، والإيـــذانِ بـأنَّ البِشارةَ لها من يستحقُّها مـنَ المؤمنين

### غرضُ تقديمِ ﴿بَشِيرًا﴾:

قُدِّمَتِ البشارةُ على النِّذارةِ في قوله عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾؛ لإظهارِ شرفِ البشارةِ واستحقاقِها التَّقديمَ[1]، ولأنَّ التَّبشيرَ هو المقصودُ الأصليُّ في دعوةِ النّبيِّ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قد غلبَ عليهِ التَّبشيرُ؛ لأنَّهُ رحمةٌ مُهْداةٌ للعالَمينَ، وأمّا الإنذارُ فهو ضرورةٌ لرَدْعِ الكفّارِ والعُصاةِ المخالفينَ، ويُؤخَذُ مِنْ ذلكَ أنَّ على الدُّعاةِ إلى اللهِ ﷻ أنْ يُغلِّبوا الرِّفقَ والرَّحمةَ بالنّاسِ على التَّخويفِ والتَّشديدِ؛ فالرِّفقُ منهجٌ نبويٌّ، ولا يكونُ الرِّفقُ في شيءٍ إلّا زانَهُ، وفي تقديمِ ﴿بَشِيرًا﴾ أيضًا مراعاةُ وقوعِ النَّذيرِ مُتَّصلًا بقولِهِ تعالى بعدَهُ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، فهو مُشتمِلٌ على النِّذارةِ أيضًا.

مقدّمٌ في دعـوةِ عمومِ النّاسِ، والإنذارُ مقدّمٌ في دعـوةِ المعاندين

### بلاغةُ عطفِ المُتقابلاتِ:

عُطِفَ النَّذيرُ على البشيرِ في قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بالواوِ، ولم يُقَلْ: (بشيرًا نذيرًا) دونَ عطفٍ؛ لأنَّ المرادَ الإعلامُ برسوخِ قَدَمِهِ ﷺ في كلٍّ مِنَ الصِّفتينِ[2]، كما هو مُقتضَى مقامِ

اجتماعُ البِشارةِ والنِّذارةِ بإتقانٍ، لا تكون إلّا صفةَ كمالٍ وشميلةَ تمامٍ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 51.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 41.

التَّكريم والتَّشريف، والواوُ تُشعِرُ باستقلالِ كلٍّ مِنَ الصِّفتين، حتَّى كأنَّ الذّاتَ مُتعدِّدةٌ بتعدُّدِهما، ولو تُرِكَ العطفُ لربَّما ظُنَّ أنَّ الصِّفةَ الثّانيةَ تابعةٌ للصِّفةِ الأولى، وليسَتْ مقصودةً لذاتِها؛ فدَلَّ العطفُ على أنَّه ﷺ يتّصف بالبشارةِ وصفًا راسخًا، كما يتّصف بالنّذارةِ وصفًا راسخًا، وأنّه في كلٍّ منهما قد أتى بالوصفِ اللّائقِ به، دونَ إفراطٍ أو تفريطٍ، فإنَّ مِنَ النّاس مَن لا تُتقن إلّا البشارةَ، ومنهم مَن لا يُتقن إلّا النِّذارةَ، أمّا أن يكون الإتقان للصَّفتين معًا، باجتماعٍ وانفرادٍ، فلم يكن إلّا لسيّد الخلقِ ﷺ.

### نُكْتَةُ حذفِ مُتعلَّقِ النِّذارةِ:

العِلْمُ بالشَّيءِ مع فوات نُكْتَةِ ذِكْرِه مُقتضٍ للحذفِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَنَذِيرًا﴾ معناهُ: ونذيرًا للكافرينَ والعُصاةِ، وقد حُذِفَ مُتعلَّقُ النِّذارةِ إيجازًا؛ لظهورِهِ، وللتَّنبيهِ على أنَّها إنَّما تكونُ للكافرينَ والعُصاةِ، ولذلكَ لا ينصرفُ الذِّهن إلى غيرِهم عندَ الحذفِ، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى ضرورةِ أنْ يضعَ الدّاعيةُ إلى اللهِ النِّذارةَ في موضعِها الصَّحيحِ، ولا يُجاوِزَ بها أهلَها المستوجبينَ لها، فإنَّ إنذارَ المؤمنين العاملين المُجدّين قبيحٌ، كقُبْحِ تبشير المجرمين والكافرين.

### فنُّ الطِّباقِ في ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾:

جَمَعَ النَّبيُّ خصائصَ الرّحمةِ، فشمِلَت جميعَ النّاسِ

في الجمعِ بينَ البشيرِ والنَّذيرِ في قولِهِ ﷻ: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ رعايةُ مُحسِّنٍ معنويٍّ، وهو الطِّباقُ، إذ يرسمُ الكلامُ صورتين متقابلتين؛ إحداهما: صورةُ تبشيرِهِ ﷺ للمؤمنينَ، والأخرى: صورةُ إنذارِهِ للكفرةِ والعُصاةِ، وفي ذلكَ دليلٌ على أنَّهُ رحمةٌ للنّاسِ جميعًا مؤمنِهم وكافرِهم؛ لأنَّ إنذارَ الكافرينَ والعُصاةِ رحمةٌ بهم؛ لصَرْفِهم عنِ الضَّلالِ إلى الهدى، وعنِ العِصيانِ إلى الطّاعةِ.

### نوعُ الواوِ ودلالتُها:

يحتملُ أنْ تكونَ الواوُ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا

فِيهَا نَذِيرٌ﴾ حاليَّةً، أي: والحالُ أنَّهُ ما مِنْ أمَّةٍ إلّا خلا فيها نذيرٌ[1]، ويحتملُ أنْ تكونَ عاطفة على التي قبلَها، فتأخذَ حُكمَها فهي استئنافيَّة[2]، والكلامُ إبطالٌ لاستبعادِ المشركينَ أنْ يُرسِلَ اللّهُ إلى النّاسِ بشرًا منهُم؛ فإنَّ هذهِ الشُّبهةَ كانَتْ مِنْ أعظمِ ما صدَّهم عن التَّصديقِ بهِ، فلذلكَ أُتبِعَ ذِكْرُ الرِّسالةِ بإبطالِ الشُّبهةِ، وفي ذلكَ أيضًا تسفيهٌ لأحلامِهم؛ إذ رَضوا بأنْ يكونوا دونَ غيرِهم مِنَ الأممِ الَّتي شُرِّفَتْ بإرسالِ أنبياءَ إليها[3]، وفيهِ تسليةٌ لهُ ﷺ بأنَّهُ ليسَ عليهِ إلّا البلاغُ، وأمّا التَّكذيبُ فهو دَأْبُ الأممِ السّالفةِ معَ أنبيائِهم[4]، وهذا هو مقتضى العدالةِ الإلَهيّة أن يُرسِل في كلِّ الأممِ رسولًا منهم، لينتشلَهم من ضلالاتِ الشّركِ، ويدخلَهم في نورِ الهدايةِ.

إرسالُ الرُّسلِ في كلِّ الأممِ هدايةٌ ربّانيّةٌ وعدالةٌ إلهيّةٌ

**بلاغةُ القصرِ وغرضُه:**

القصرُ بالنَّفي والاستثناءِ في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ قصرٌ موصوفٍ على صفةٍ قَصْرًا ادِّعائيًّا للمبالغةِ، كأنَّ كلَّ أمَّةٍ مِنَ الأممِ لا تتَّصفُ إلّا بصفةِ كونِها أُرسِلَ إليها رسولٌ، والغرضُ مِنْ ذلكَ: التَّأكيدُ على أنَّ إرسالَ الرُّسلِ مِنَ البشرِ أمرٌ قد جرَتْ بهِ عادةُ اللّهِ ﷻ في جميعِ الأممِ الضّالَّةِ، ونبيُّنا محمَّدٌ ﷺ مُقتَفٍ آثارَهم، ومُندرِجٌ في زُمْرتِهم، وليسَ بِدْعًا منهُم، وفي هذا التَّأكيدِ تقويةٌ للتَّسليةِ ودفعِ الشُّبهةِ الواردةِ على رسالتِهِ ﷺ.

امتلأت الأممُ السّابقةُ بدعوةِ النّبيّين، فأخرجت منهم المهتدين

**دلالة ﴿مِّنْ﴾ في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾:**

جاءَ حرفُ الجرِّ ﴿مِّنْ﴾ في قوله تعالى شأنُهُ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ لتأكيدِ النَّفي المستفادِ مِنْ (إنْ)، وفي التَّعبيرِ بهِ تنبيهٌ على أنَّ النَّفيَ قد شملَ يقينًا كلَّ أمَّةٍ مِنَ الأممِ الضّالَّةِ.

تأكيدُ النَّفي المستفادِ مِنْ (إنْ)

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 41.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 22/ 268.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 296.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 641.

### بلاغةُ اختيار لفظ ﴿أُمَّةٍ﴾:

شـمـولُ اللّفظ ودلالتُه على ما يجمعُ كلَّ طائفةٍ مِنَ النّاسِ

آثرّ النّظمُ الكريم استعمالَ لفظِ ﴿أُمَّةٍ﴾ لشمولِه؛ إذ يدلُّ على ما يجمعُ كلَّ طائفةٍ مِنَ النّاسِ مِنَ المكانِ الواحدِ، والزَّمانِ الواحدِ، والدّينِ الواحدِ، المُستدعي لإرسالِ الرُّسلِ مُبشِّرينَ ومُنذِرينَ.

### فائدةُ تنكيرِ لفظِ ﴿أُمَّةٍ﴾:

القيامُ بحُجّةِ اللهِ في الأرضِ عمَّ كلَّ أُممِ الأرضِ

نُكِّر لفظُ ﴿أُمَّةٍ﴾ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ لإفادةِ العموم؛ لأنَّ النَّكرةَ في سياقِ النَّفي تعُمُّ، أي: ما مِنْ أمَّةٍ مِنَ الأممِ الضّالَّةِ الدّارجةِ في الأزمنةِ الماضيةِ إلّا خلا فيها نذيرٌ[1]، والغرضُ مِنْ هذا التَّعميمِ: إقامةُ الحُجَّةِ على الأممِ، والتَّنصيصُ على شمولِ رحمتِهِ ﷺ لجميعِ الأممِ؛ حيثُ لم يُخْلِ أمَّةً منها مِنْ قائمٍ للّهِ بالحُجَّةِ، ونذيرٍ يدعوها إلى الحقِّ والهدى، والحكمةُ في ذلكَ: ألّا يَبقَى الضَّلالُ رائجًا في الأرضِ[2].

### بلاغةُ المجازِ في لفظِ ﴿خَلَا﴾:

إرسـالُ الرُّسلِ إلى الأمـمِ من مقتضيات بقاءِ الأممِ

في قوله سبحانَهُ: ﴿خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ مجازٌ لطيفٌ، وذلكَ أنَّ أصلَ الخلاءِ الفراغُ، وهو يُستعمل في خلوِّ المكانِ؛ فيُقال: خلا منهُ المكانُ، فأُسنِدَ الخُلوُّ إلى صاحبِ المكانِ، وهو النّذير على طريقةِ المجازِ العقليِّ؛ لنُكتةِ المبالغةِ[3] في المضيِّ وانصرامِ العهدِ، أي: تحقَّقَ الأمرُ وانقضى، وهو معلومٌ لدى كلِّ الأممِ التي تستعملُ عقلَها للوصولِ إلى أخبارِ بقيّةِ الأممِ، وما يَستجدُّ لها من أحداثٍ، فالتّعبير يوحي بأنَّ هذا الأمرَ معهودٌ عند الجميعِ لا يخفى على أحد.

### دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي:

سنَّـةُ إرسـالِ الرُّسلِ مُعرقةٌ في القِدَمِ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قول اللّهِ تعالى ثناؤُهُ: ﴿خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾؛

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 150.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 297.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 735.

للدّلالةِ على تحقُّقِ خُلوِّ الأنبياءِ السّابقينَ، فيكونُ الكلامُ قد أفادَ المُضيَّ باعتبارِ الصّيغةِ، وباعتبارِ إسنادِ الخُلوِّ إلى النَّذيرِ كما تقدَّمَ، وفي ذلكَ مزيدُ مبالغةٍ في كونِ سنَّةِ إرسالِ النُّذُرِ قديمةً ضاربةً بأطنابِها في الزَّمنِ الماضي.

### دلالةُ حرفِ الظّرفيَّة ﴿فِيهَا﴾:

الأُمـم السّابقة مكانُ خُلوّ الأُمم ومكان دعوتهم إلى الله تعالى

دلَّ حرفُ الجرِّ في قوله تعالى ذكرُهُ: ﴿خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ على الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ، وهو يفيدُ أنَّ الأممَ هي مكانُ خُلوِّ الأنبياءِ، ومكانُ دعوتِهم إلى اللهِ تعالى، فدلَّ على أنَّ الرُّسلَ قد تغلغلوا في دعوةِ تلك الأمم.

### غرضُ تقديمِ ﴿فِيهَا﴾:

العناية بكونِ خُلوّ الأنبياءِ في الأممِ السّابقةِ

قُدِّمَ ﴿فِيهَا﴾ على ﴿نَذِيرٌ﴾ في قوله سبحانَه: ﴿خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾؛ للعنايةِ بكونِ خُلوِّ الأنبياءِ هو في الأممِ السّابقةِ، وهو يلائمُ مقامَ إقامةِ الحُجَّةِ، ولأنَّ في تأخيرِ ﴿نَذِيرٌ﴾ مراعاةً لملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لما قبلَها.

### نُكْتَةُ تنكيرِ ﴿نَذِيرٌ﴾:

نـذيـرٌ مـن الله تقومُ به الحُجّةُ على الخَلْقِ

نُكِّرَ لفظُ ﴿نَذِيرٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ للإفرادِ المفيدِ في إقامةِ الحُجّة، أي: خلا فيها فردٌ مِنْ أفرادِ النُّذُرِ، وقد يُرسِلُ اللّهُ تعالى أكثرَ مِنْ نذيرٍ، كما وقعَ في بعضِ الأُممِ، لكنّه أتى بالإفرادِ لبيانِ أنَّ إقامةَ الحُجّة تقع به، ويُفيد كذلك التّعظيمَ؛ فإنّ النّذيرَ من اللّه تعالى عظيمٌ في ذاتِه ووظيفته.

### توجيه تخصيص النِّذارةِ بالذّكرِ:

بـدايـةُ دعـوةِ الـضّـالّـين بـالإنـذار، فـإن اهتدَوا بُشّروا

آثرَ النّظمُ الكريم استعمالَ مفردةِ النّذير دونَ الرّسول أو النّبيِّ في قوله تعالى: ﴿خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، واستعملها دونَ الصّفة الأُخرى وهي البشيرُ؛ لأنَّهُ لمّا كانتِ النِّذارةُ مشفوعةً بالبشارةِ دلَّ ذكرُها على ذِكْرِها، لا سيَّما قد اشتملَتْ الآيةُ على ذكرِهما في قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1]، ولأنَّ النّاس لتماديهم في الضَّلالِ والغفلةِ أشدُّ احتياجًا إلى

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 608.

النَّذيرِ مِنَ البشيرِ[1]؛ لأنَّ تأثيرَ الإنذارِ في الزَّجرِ عن الكفرِ والمعاصي أقوى[2]، ولأنَّ النِّذارةَ هي الَّتي تقعُ بها التَّسليةُ؛ لِما فيها مِنَ المشقَّةِ، ولمراعاةِ العمومِ الَّذي في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾؛ فإنَّ مِنَ الأممِ مَنْ لم تحصلْ لها بِشارةٌ؛ لأنَّها لم يُؤمِنْ منها أحدٌ[3]، ولأنَّ التَّخليةَ مُقدَّمةٌ على التَّحليةِ، فأفاد ذلك كلُّه أنَّ الأممَ المذكورةَ هي أممُ الضَّلالةِ والكفرِ، فاحتاجت إلى النَّذيرِ، فإنْ آمنت جاءتها البشارةُ، وهذا هو المناسبُ للمقامِ والسِّياقِ، فإنَّ الآيةَ نزلت في إنذارِ الكافرين من قريش، فناسب الإخبارُ عن أوَّليّة الدّعوة، وهي النّذارة.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### الإرسالُ والبعثُ:

يشتركُ الإرسالُ والبعثُ في مَلْمَحٍ دلاليٍّ عامٍّ، وهو توجيهُ الشَّيءِ مِنْ مكانٍ إلى مكانٍ، ويفترقانِ بأنَّ البعثَ يتميَّزُ بمَلْمَحِ التَّنبيهِ والإيقاظِ والإثارةِ، كبعثِ البعيرِ مِنْ مكانِهِ، والإرسالَ يتميَّزُ بمَلْمَحِ الرِّفْقِ والرَّحمةِ، إلّا في المواضعِ الَّتي جاءَ مركَّبًا فيها معَ حرفِ الاستعلاءِ (على)، نحوُ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ [الفيل: 3]، وقدِ اختيرَ لفظُ الإرسالِ دونَ البعثِ في الآيةِ؛ لأنَّ السّياقَ هنا سياقُ نعمةٍ وتشريفٍ لهُ ﷺ، والإرسالُ أنسبُ بهِ.

يغلبُ على الإرسالِ الرِّفقُ والسّادسة، وعلى البعث الإثارةُ والإيقاظ

### التَّبشيرُ والإخبارُ:

التَّبشيرُ إخبارٌ بالأمرِ المحبوبِ فقطْ، فهو أخصُّ مِنْ مُطلَقِ الإخبارِ، وقدِ اختيرَ التَّبشيرُ في قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا﴾؛ لِما تدلُّ عليهِ البشارةُ مِنَ الإخبارِ بما يَسُرُّ، وأعظمُ التَّبشيرِ الجالبِ للسُّرورِ تبشيرُ النَّبيِّ ﷺ برحمةِ اللهِ تعالى والجنَّةِ.

الإخبارُ عامٌّ في الأخبارِ والتّبشير، يخصُّ السّارَّ منها

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 641.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 52.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 41، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 297.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»